هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

المسافر :

وكان قد انتصف الليل عند ما توجه زارا إلى أكمة الجزيرة وهو يجد في السير ليبلغ الشاطئ الآخر عند بزوغ الفجر إذ كان يقصد الابحار من هذه الجهة حيث ترسو بعض المراكب لتقل طلاب المهاجرة من الجزر السعيدة

وتذكر زارا الرحلات التي قام بها منفرداً منذ صباه فمرت بمخيلته رسوم الجبال والتلال والذرى التي تسلقها في حياته فقال : «ما أنا إلا رحالة ومتسلق مرتفعات وما تستهويني منبسطات الأرض ولا يستقر بي مقام . ومهما قُدّر علي ومهما وقع لي فلا تعدو الحوادث أن تكون في نظري رحلة واعتلاء . فما لي أن أرى من الآفاق إلا ما انطبع منها في نفسي . ولقد مضى الزمن الذي كان لي فيه أن أتوقع الحوادث من خطرات الحظ . وهل لي أن أنال من الدهر شيئاً لم يستقر في نفسي من قبل ؟

إن كل ما يطرأ عليّ بعد الآن إنما هو ذاتي العائدة تكراراً بعد انفراطها وتمازجها في الأشياء وتصاريف الزمان . غير أنني أصبحت الآن على مدرج آخر الذرى أمام أصعب مسلك ما اقتحمت مثله في حياتي ، فأنا أبدأ الآن أشد رحلاتي عناء وأروعها وحشة

وأنى لمثلي أن يتجنب مثل هذه الساعة التي تهتف قائلة : إنك على مبدأ طريق المجد حيث تتداخل الذرى في المهاوي . أنت تسير على هذه الطريق وكنت تراها قبلاً آخر ما تقتحم من أخطار فأصبحت لديك آخر ملجأ تهرع إليه

إنك تسير على طريق المجد فعليك أن تتذرع بالحزم الأوفى لتقطع بنفسك خط الرجوع على نفسك

إنك تسير على طريق المجد ، فأنت متفرد عليها لا يزحمك أحد من ورائك ، وقد محت أقدامك آثار خطاك على ما وراءك من المسالك ، ولاحت كلمة المستحيل بعينيك على آفاق هذه الطريق

ولا بد لك إذا ما خلت المدارج تحت أقدامك أن تتسلق قمة رأسك إذ لا سبيل لك للاعتلاء إلا إذا اتجهت إليه وإلى ما وراءه وأنت تدوس على قلبك ، وهكذا سيشفيك ما كان يحلو لديك

إن من أفرط في ادخار جهوده لا يلبث حتى يُبتلى بالخمول ، تبارك كل جهد يشد العزم ، فلا خير في أرض تدر اللبن والعسل ؛ ومن يطمح إلى الاحاطة بأمور كثيرة فليتدرب على إرسال أبصاره إلى ما وراء حدود ذاته . وعلى كل متسلق للذرى أن يتعزز بمثل هذا الحزم إذ لا يسع من يتحرى الأمور متجسساً بفضوله إلا الوقوف عند أسهل الأفكار مثالا . وأنت يا زارا تطمح إلى الاحاطة بالعلل وإلى نفوذ خفايا الأمور ، فعليك أن تحلق فوق ذاتك فتجتازها متعالياً حتى ترى ما فيك من كواكب متصاغرة في كل أفق دون أفقك الرفيع

أجل إن ذروتي إنما هي حيث أقف ناظراً إلى الأعماق فأرى فيها ذاتي وكواكبها ، تلك هي آخر هضبة أطمح إلى بلوغ قمتها »

بهذا كان يناجي زارا نفسه وهو يصعد المرتفع معللا بالتعاليم الصارمة ما في قلبه من جراح

وعند ما بلغ الذروة انبسط البحر أمام ناظريه فوقف مبهوتاً واستغرق في صمت طويل ، وكانت السماء لا تزال تتألق بالنجوم والهواء يهب بارداً على الأكمة

وهتف زارا حزيناً : «لقد تبينت ما قُدّر عليّ ، وهأنذا مستعد للاقدام فهذه آخر عزلة أقتحمها

سأتحدر إليك أيها البحر المظلم المنبسط عند أقدامي ، أنت الليالي المفعمة بالأحزان ، أنت القضاء والقدر أيها الخضم البعيد

إنني أقصد أرفع جبالي مقتحما أبعد أسفاري فعليّ إذاً أن أهبط إلى مهاوٍ أبعد في أغوارها من كل ذروة رقيتها حتى الآن

عليّ أن أذهب من الأسى إلى أغوار مارسبت في مثلها من

قبل فأصل إلى قرارة مافي الأحزان من ظلمات . ذلك ماقدر عليّ فأنا على أهبة لاقتحامه

لقد تساءلت فيما مضى عن منشأ الجبال فعرفت أخيراً أنها تهدت من البحار كما تشهد صخورها وحروف ذرواتها ، فما يبلغ الأعلى مقامه إلا لانطلاقه من المقام الأدنى »

هكذا تكلم زارا وهو ماثل على قمة الجبل تدور به لفحات الصقيع ، ولكنه ما بلغ الشاطيء ووقف بين نتوءات صخوره حتى حل عليه التعب وتزايدت أشواقه فقال :

« إن البحر هاجع أيضاً فعينه الوسنى تحدجني بلفتات غريبة وأنفاسه الحرى تهب علي . إنه مستغرق في أحلامه يتقلب مضطرباً على جانبات مساندة . إنني أستمع لهديره كأنه ينثر تذكارات مفجعات ، وقد يكون هذا الهدير نذيراً بالشؤم في آتي الزمان

إنني أشاطرك الأسى أيها المدى المظلم الوسيع ، فأنا بسببك ناقم على نفسي أتمنى لو طالت يدي فأنقذك من أصفاد أحلامك »

وانتبه زارا فإذا هو يضحك ساخراً من ذاته فتمرمر وتساءل عما إذا كان سيبلغ به حماسه إلى اطلاق انشاده لتعزية البحار ، وعما إذا كان سيستمر مضمضماً في سكرة غرامه واستسلامه فقال :

«لقد عرفتك في كل زمان يازارا تقتحم الأمور الخطيرة بلا كلفة وبلا مبالاة ، وقد رأيتك طوال حياتك تدغدغ الوحوش المفترسة فكان يكفيك منها أن تهتاج حبك بأنفاسها الحرى وبنعومة مخالبها لتجتذبك إليها

ليس من خطر أعظم من الحب يحدق بالمستغرق في عزلته فإن المنفرد يحب كل شيء يتنسم فيه الحياة ؛ وما أعجب جنوني بالحب وتساهلي فيه »

هكذا تكلم زارا وقد عاد إلى الهزء بنفسه ؛ غير أنه تذكر من هجر من خلانه تخيل اليه أنه يسيء إليهم بتفكيره فيهم ، فنقم على نفسه وانقلب من ضحكه إلى البكاء فسالت دموعه مريرة يمتزج فيها الغضب والشوق

فليكس فارس

العلويون والتقمص

في أوقات مختلفة ، لكتاب مختلفين ، نشرت (الرسالة) مجلة الأدب الراقي والفن الرائع ، بعض الآراء عن بعض المعتقدات والمذاهب المتفرعة عن الإسلام

بحثها الأستاذ عنان على سبيل التاريخ ، وغيره على ضوء المعلومات الحديثة والاختبارات الشخصية

وقد أجمع الكتاب والناس على أن الدروز يؤمنون بالتقمص ؛ وقد كان إجماعهم في هذه المرة صادقا لا يلوثه شك . أما أنا فأقول إن العلويين « النصيرية » يؤمنون بالتقمص كإخوانهم الدروز . ولست أطلع بهذا النبأ طلوع من يجهل ، فلقد تحريت هذا الاعتقاد بنفسي بين إخواننا فألفيته موجوداً مستساغاً لا شك فيه ولا غبار عليه . وللعلويين في اعتقادهم هذا حكايات جميلة ، ونكت حلوة لا بأس إذا نقلنا « للرسالة » شيئاً منها

قال لي أحدهم : ألا تعتقد يا أخي بالتقمص وقد أوجسنا من دلائله ما حملنا على الإيمان به أشد الإيمان وأقواه ؟ قلت : ما هذه الدلائل ؟ قال : اسمع ، ولدٌ في قرية (كذا) يقصد امرأة مات زوجها عنها ويدعى أنه تحول إليه ، يذكرها بعهود الصبا ، وبأيام قضاها وإياها ، ويحدثها بأسرارها الزوجية السالفة ، فتدهش لهذا وتعجب وتهبه من مالها الكثير وتؤمن أنه رجلها الراحل . قلت : هذا لا يكفيني . قال : إن كان لا بد فدونك :

لاشك أنك تعرف في القرية الأجير (فلانا) وقد تدرك احترام معلمه له ، وقد ترى حب أم معلمه له الحب الجم ، وحياءها منه الحياء الكثير ، ولا بد أنك لحظت في كفه آثار طلق ناري يظهر لك عتيقاً . قلت : وما تعني بهذا ؟ قال :

أما الأجير فإنه أب للمعلم ، وزوج لأمه ، وهو يهابها لتزوجها بعد وفاته ، إنها كذا بوته العتيقة بآثار الطلق وبحوادث وأعمال صدقها بعض قدماء القرية ، وقد جرت بينهم وبين الراحل أمثالها ، ولو علمت أنه أتى عالم النور يوم مات أبو معلمه لصدقت بعض الشيء مما أقول

ذاك ما روى الرجل أثبته للتأكد من إيمانه بهذا المذهب ، وهذا ما حدث لي معه . وقد روى بعضهم أن اعتناق التقمص إنما يثير عدم مبالاة بالحياة ؛ وقد رأينا من العلويين الشيوخ شيئاً من هذا ، وقد رأينا من بعضهم شجاعة ربما كان من جملة بواعثها — غير طبيعتهم الجبلية في سوريا — اعتقادهم بمذهب التقمص .

حماة « سوريا »

حسن شيخ علي